الإرشاد القويم

إلى غيث القلوب وصراط الله المستقيم

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

عضو هيئة التدريس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

miraath.net

ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسرُّ موقع ميراث الأنبياء أن يقدِّم لكم تسجيلًا لكلمةٍ بعنوان

الإرشاد القويم إلى غيث القلوب وصراط الله المستقيم

ألقاها

فضيلة الشيخ الدكتور: محمد بن هادي بن عليٍ المدخلي

-حفظه الله تعالى-

يوم الأربعاء الخامس من شهر ذي الحجة عام سبعةٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألف للهجرة النبوية،

في قرية زبارة رشيد بمحافظة أبي عريش في جازان.

نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفع بها الجميع.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الله -جل وعلا-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [ش ورى: ٢٨]، فالحمد لله -جل وعلا- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، الذي منَّ على بلادنا بالوابل الهتَّان الذي تحيا به الأرض، وينتفع به الناس، وتعمُر البلاد، ويستبشر العباد، ويكون متاعًا للحاضِر والباد، وأنتم -حفظكم الله- لعله ليس ببعيدٍ عليكم كما نحن كذلك، قبل أيامٍ قلائل كان آباؤنا وإخواننا وأبناؤنا يستبقون المطر، ويقولون من سنين لم نُمطر، وإذا جاءت أمطارٌ خفيفةٌ لا تكاد تُذكر، وما هي إلا أيامٌ وليالٍ، حتى غيَّر الله -سبحانه وتعالى- الحال من الجدب والمحل، إلى الخصب والمطر ولله الحمد، وهذا مصداق قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨﴾ [ش ورى: ٢٨]، -سبحانه وتعالى- هو الولي، لا وليَّ لنا غيره -جل وعلا-، وهو الحميد المحمود على أفعاله -سبحانه وتعالى- المحمود بأسمائه، المحمود بصفاته، المحمود في جميع الأحوال، له الحمدُ وحده لا شريك له، له الحمدُ كثيرًا كما يعطي كثيرًا، وله الشكرُ كثيرًا كما يُنعم كثيرًا.

والله -جل وعلا- إنما ينظر إلى عباده، ويبتليهم بتأخُّر نزول الغيث ليثوبوا إليه، ويرجعوا إليه، ويتوبوا إليه، فيعلمون أن لهم ربًا بيده ذلك -سبحانه وتعالى- فلا يلتجئون إلا إليه -سبحانه وتعالى- فهو الذي ينزِّل الأمطار، وهو الذي يرزق العباد، وهو الذي يُنعش البلاد، فيصيب به الناس من بعد ما قنطوا، ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٨ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡهِم مِّن قَبۡلِهِۦ

لَمُبۡلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ ﴾ الروم: ٤٨ - ٥٠، فالله أكبر، الله -سبحانه وتعالى- جعل هذه العلامة الظاهرة للناس جميعًا، يرونها بأمهات أعينهم، يرون كيف تحيا هذه الأرض بعدما كانت هامدة، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾ الحج: ٥، **والبهيج:** فعيل بمعنى مفعول، يُبهج النفوس، إذا رأته العيون سُرَّت بذلك المنظر، إذا رأته العيون انشرحت الصدور، وفرحت النفوس بهذا، وذلك لأن فيه حياةً لهم، فإذا حيَّت الأرض، وأنبتت من كل زوج بهيج، فرِح الناس بهذا الإنبات؛ لأنهم يحيون عليه بأمر الله -جل وعلا-؛ لأنه هو الذي جعل لنا ما في الأرض جميعا منه -سبحانه وتعالى-، ثم استدلَّ بذلك على قضية عظيمة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾ فصلت: ٣٩، على قضية البعث، وهذا فيه ردٌ على مشركي العرب الذين ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾ الجاثية: ٢٤، والآية الأخرى: ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنعام: ٢٩، فردَّ عليهم -جل وعلا- بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ ﴾ فصلت: ٣٩، بعدما كانت غبراء هامدة، ليس فيها إلا التراب، والسَّوافي إذا سفت عمت العيون، أصبحت مخضرة، وأنبتت من كل زوجٍ بهيج، كل زوجٍ من أنواع النبات، يُبهج النفس ويسرُّ الخاطر، يراه الإنسان بعد نزول المطر، فهذه نعمةٌ من الله -جل وعلا-، والواجبُ على العاقل أن يتدبَّر أن الذي أحيا هذه الأرض بعد موتها هو الذي يحيي -سبحانه وتعالى- الموتى إذا صاروا إليه، لا أحد يفعلُ ذلك إلا هو -جل وعلا- آمنتُ به وعليه توكلت، فإذا كان الأمر كذلك، فهذا الغيث حياة للأرض، وهكذا هذا الإسلام جاء الله -سبحانه وتعالى- به حياةً للقلوب، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا

ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣ ﴾الشورى: ٢٥ - ٣٥، وأخبر الله -جل وعلا- أن هذا القرآن الذي جاء به محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان -صلى الله عليه وسلم- هذا هو الروح الحقيقي، فإن الحياة إنما هي حياة القلوب، فهذه الروح هي الروح الحقيقية التي يحيا بها الناس، فتقوم حياتهم الدنيا على ذلك الوحي قيامًا صحيحًا.

وقد بيَّن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الذي جاء به تحيا به القلوب، كما أن الأرض تحيا بالماء، قال -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا» فسمَّى -صلى الله عليه وسلم- الهدى والعلم، وهو الوحي الذي جاء به، سماه غيثًا؛ لأنه غيثٌ للقلوب، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ ﴾الشورى: ٢٥، سماه روحًا لأنه حياة الأرواح، وهنا سماه غيثًا لأن القلوب قد أجدبت وبعُد عهدُها بالتوحيد، وانطفأ نور الرسالة، إلا بقايا من دين إبراهيم في قومه -صلى الله عليه وسلم- وفي عموم العرب، «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ»، والهدى والعلم هو الوحي، كما قال -جل وعلا-: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ ﴾الضحى: ٦ - ٧، والضلال المراد به هنا عدم العلم، وليس الضلال ضلال قريش، بأنه كان -عليه الصلاة والسلام- يُشاركهم في أعمالهم المنكرة، لا، وإنما المراد به عدم العلم، كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا

﴿١١٣﴾ال نساء: ٣١١، فهذا الفضل الذي جاء به -صلى الله عليه وسلم- هو الذي حيَّت به القلوب، فيه حياة القلوب بالإيمان.

«إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا»، هذه الأرض مجزَّأة أنواع، «فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ» هذه هي الأرض الطيبة التي يحرص الناس على اقتنائها، وشرائها، ويتنافسون فيها؛ لأنهم إذا زرعوها وفلحوها أنبتت الكلأ والعشب النافع، فترعى منه الدواب، ويأكلون هم، أصاب منها «طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ»، وفي روايةٍ أخرى: «قيَّلتْ الماءَ»، يعني جمعته حتى ترتوي، وهو الذي يفعله المزارعون اليوم، إذا جاءت الأمطار والسيول، فإنهم يحرصون على أن يقيل الماء في أرضهم مدةً حتى ترتوي، ثم يفتحهُ هذا إلى جاره، وذاك إلى ثالث، وثالثٍ إلى رابع، ويحرص كل واحد أن يتقيَّل الماء في أرضه حتى تأخذ نصيبها من هذا الماء فترتوي فتنبت الخير الذي يرجوه أصحابها منها.

فأصاب طائفةً منها نقية قبلت الماء وأنبتت العشب والكلأ الكثير، هذه طائفة منها، «وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً» ثم قال -عليه الصلاة والسلام-: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» فشبَّه النبي -صلى الله عليه وسلم- القلوب؛ قلوب الناس بالأرض، وأنها على ثلاثة أقسام:

أرضٌ طيبة، الأرض الطيبة هذه التي تقبل الماء فتحتفظُ به، فتتزيَّن به في نفسها، فإذا تزينت في نفسها جاء الناس أيضًا إليها، واستفادوا منها، فزرعوا واستثمروا، فتزينت في نفسها هي، ثم أثمرت لغيرها، وهم أصحابها، وأربابها، وحرَّاثها الذين يحرثونها، وفلاحها الذين يفلحونها فيستفيدون منها، فتتزيَّن في نفسها، وتنتفعُ في نفسها، وينتفعُ منها أصحابها، هذه هي الطائفة النقيَّة، فهكذا حال من قبِل الهُدى الذي أرسل الله به نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- فتعلَّم العلم الموروث الذي جاء به رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، إن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا، ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر، فالعلم هو ميراث النبوة، ووَرَّاثه أهل العلم، الذين يتعلمون سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يقول -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث؛ حديث أبي الدرداء -رضي الله تعالى عنه-: «وإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، فهذا العلم الذي ورَّثهُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو حياة القلوب، كما سمعتم الآية قبل قليل ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ الشورى: ٢٥ - ٣٥.

هذا الصراط الذي أخبر الله -جل وعلا- أن رسوله -صلى الله عليه وسلم- يهدي إليه، بقوله صراط مستقيم، مدحه بالاستقامة لا عِوج فيه، فهو الذي وصَّانا الله -جل وعلا- به في قوله -جل وعلا- في آخر سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهذا الصراط المستقيم هو الذي نحن نسألُ ربَّنا -جل وعلا- في كل ركعة من صلاتنا فرضًا ونفلًا أن يهدينا إليه ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، ما وصفهُ بعد أن كان الوصف الأول مستقيم، وصفهُ بأنه ليس بصراط المغضوب عليهم، وليس بصراط الضالين، فالمغضوب عليهم هم اليهود، وهم الذين ضلوا بعد العلم، آتاهم الله العلم، آتاهم الله التوراة، ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣]، نسأل الله العافية والسلامة، هؤلاء اليهود ضلوا بعد علم، تركوا العلم الذي نزله الله -جل وعلا-، والهدى الذي نزله الله -جل وعلا- على رسوله، وعبده موسى -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٥]، فهذه المواعظ، وهذا التفصيل لم يستفيدوا منه، فكانوا كما قال الله فيهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥]، هذا العلم الذي بعث الله به نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- هو الذي يدلُّنا -معاشر الأحبة- إلى الصراط المستقيم، الذي نسأل الله -جل وعلا- أن يهدينا إليه دائمًا وأبدًا ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٧]، الضالون هم النصارى الذين عبدوا الله على جهلٍ، فأهلُ الإسلام والإيمان -والحمد لله الذي جعلنا الله وإياكم منهم- أهل الإسلام والإيمان بين طريقي النصارى واليهود، فالنصارى يعبدون الله بجهل، واليهود يعبدون الله بضلال وهوى؛ لأنهم تنكبوا الكتاب الذي أُنزل عليهم،

ولم يأخذوا به، وكانوا يحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، كما أخبر الله -سبحانه وتعالى- عنهم، ويكتمونه كما أخبر الله -سبحانه وتعالى- عنهم، نسأل الله العافية والسلامة.

هذا هو الصراط المستقيم، الذي نسأل الله أن يهدينا وإياكم دائمًا إليه، هو صراط هؤلاء الذين أنعم الله عليهم، وهم الذين أطاعوا الرسول، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠ ﴾النساء: ٨٠، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾الأحزاب: ٣٦، أي: بيِّنًا ظاهرًا واضحًا؛ لأنه قد ترك الحق بعد ما تبيَّن: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦ ﴾الأنفال: ٦، فالذي يجادل في الحق بعد ما تبيَّن، هذا طمس الله على بصيرته.

هذا الصراط المستقيم، هو الذي قال الله فيه: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا ﴾الأنعام: ٣٥١، ومن أطاع النبي -صلى الله عليه وسلم- واتبَّع هذا الصِّراط المستقيم، فقد بشَّرهُ الله -جل وعلا- بأنه ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠ ﴾النساء: ٦٩ - ٧٠، -سبحانه وتعالى-.

فالواجب علينا معاشر الإخوة أن نفرح بهذا الوحي، الذي تحيا به القلوب، فحياة القلوب هي الحياة الحقيقية، أما الأجسام فتعمَّر للبِلى، فكل قوةٍ بعدها ضعف، وكل جمالٍ بعده قُبح، وكل نشاطٍ بعده كسل، وكل حياةٍ بعدها موت:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته ۞۞۞ أتطلب الربح فيما فيه خسرانُ
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ۞۞۞ فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

- ويُروى- كم تسعى لخدمته

هذه الأجسام للديدان، تُعمَّر للديدان، وتربَّى للديدان، ثلاث وتأكلها الديدان في القبور، وإنما الحياة حياة الروح، حياة الروح فأنت بالروح لا بالجسم إنسان، فالله -سبحانه وتعالى- فضَّلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلًا بهذا العقل، ولم يكلنا إليه، بل أرسل إلينا رسولًا، وأنزل عليه كتابًا عظيمًا مباركًا، من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، كما قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ المزمل: ٦١ - ٨١.

فهذه الطائفة النقية هي التي قبلت الماء، وشربت وارتوت، هكذا المؤمن الصادق، قلبه قبِل الوحي، وارتوى منه، وتضلَّع من عِلم الوحي، فإن الأنبياء إنما جاءوا بالوحي- كما سمعتم في هذه الآيات- وفي هذا الحديث عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالوحيُ هو حياة القلوب، فمن قبِل علم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي جاء به وهو الكتاب والسنة «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»، قال -جل وعلا-: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ ۖ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ النجم: ١ - ٩.

قال -جل وعلا-: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم: ١٠، هذا هو الوحي: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ الشورى: ٥٢.

فهذه القلوب إذا قبلت الوحي الذي أنزلهُ الله على عبده ورسوله محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- فقد وفِّق للخير كلِّه، وحينئذٍ سيسلُك الصراط المستقيم، لأنه يعلم في هذا الحين أن

النبي -عليه الصلاة والسلام- قد حذَّر حين وجود الأهواء واختلاف الآراء وحصول الفتن والتباس الأمور، كما جاء ذلك في حديث العِرباض بن سارية -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- المُخرَّج في سُنن أبي داود، والترمذي، وبقية كتب السُّنن، قال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

هذه هي الأرض الطيبة، وهذه هي القلوب الطيبة، الأرض الطيبة قبلت الماء الحسي فارتوت منه، وتزينت في نفسها، وتجملت بإنبات الزهور بأنواعها، والعشب باختلاف أنواعه، ففيه الخُضرة، وفيه الحُمرة، وفيه الزُرقة، وفيه الصُّفرة، وهكذا إذا رآها العبد سرَّ خاطرهُ ما رآه ناظره، وهكذا الإيمان في القلوب إذا دخل وتمكن فإنه تنشرح له الصدور وتُسرُّ به النفوس، فحينئذٍ يعبُد العبدُ ربَّهُ على بصيرة، ويجتنب الأهواء المُردية، والآراء المضلِّة، ويمشي على الصراط المستقيم، وأن هذا صراطي مستقيمًا ممتثلًا للوصية الربانيَّة، ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣]، تتقون ماذا؟ تتقون عذاب الله، أما إن كفرت، وأعرضت، وووليت، واتبعت البدع والأهواء، فينطبق عليك قول الله -جل وعلا-: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المزمل: ١٧ - ١٨]، من شدة هوله يشيب الولدان، المولودون يشيبون من شدة هذا اليوم، ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج: ٢]، فالمرضعة تذهل عن رضيعها بسبب شدة الهول في هذا اليوم، فالواجب على العبد أن يتذكر ذلك، وأن يعمل

بالطريق التي توصله إلى النجاة، والطريق الموصلة إلى النجاة هو اتباعه لهذا الصراط المستقيم الذي وصانا الله -سبحانه وتعالى- به، فحينئذٍ يفوز مع الفائزين ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ آل عمران: ٦٠١ - ٧٠١، ورحمة الله -جل وعلا- هي الجنة، وليُعلم أن الجنة سلعةٌ غالية، ليست برخيصةٍ:

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ۞۞۞ بل أنت غالية على الكسلانِ
يا سلعة الرحمن ليس ينالها ۞۞۞ في الألف إلا واحد لا اثنانِ
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد ۞۞۞ بين الأراذل سلفة الحيوانِ

كثيرٌ من الناس اشتغل عن هذه الآخرة بدنياه والتهى بها، وكأنه إنما خُلِق لها، ووُجِد من أجلها فضاع خيره، وضاع عمره، وانقلب إلى الله -جل وعلا- صفر اليدين، نسأل الله العافية والسلامة.

الطائفة الثانية: هي الطائفة التي وصفها النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنها أجادب، لكنها فيها خير، أمسكت الماء، فجاء الناسُ إليها، فحفروا فيها الآبار، واستقوا لأنفسهم، وزرعوا عليها، فهؤلاء الذين لم ينتفعوا في أنفسهم، لكن حفظوا العلم لغيرهم، هؤلاء ما عندهم علم في أنفسهم، عندهم الحفظ، ما عندهم فقه في أنفسهم، عندهم الحفظ، هؤلاء نقلوا لنا أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، نقلوا لنا سنته، نقلوا لنا الشرع، هم على خير، لكن في أنفسهم ما عندهم فقه، أو فقههم ضعيف، لكن الروايات التي ينقلونها، والأحاديث التي يروونها،

وينقلونها إلى العلماء وإلى الفقهاء يستنبطون منها العلم، فيعودُ عليهم كما تشبهه -ولله المثل الأعلى- تشبهه بالبلدة التي تنتج الخام من النفط، لكنها لا تُحسِن استثماره واستخدامه واستخراج المشتقات منه، فتبيعه على غيرها، انتفعت بالبيع، لكن بعد ذلك يعود من غيرها إليها وقد تغيَّر إلى منافع متعدَّدة، تعدَّدت الأغراض، منه السيارات، ومنه الأواني، ومنه ما يتعلَّق ببناء البيوت، ومنه ما يتعلَّق بفلاحة الأرض، منه ما يتعلق بالإنارة والكهرباء، منه، ومنه، ومنه، ومنه، إلى آخره، فهو يحمله لكنه لا يعرف كيف يستعمله، فهذا له أجر الحمل، هكذا الذين يحفظون الشرع لكن لا فقه عندهم، أو فقههم قليلٌ جدًا، ينقلونه إلى غيرهم، فلهم أجر الإمساك، ولهم أجر النقل للغير، لكن غيرهم أعلم منهم، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» وهذا صحيح، انظروا الآن، الجامعات ما أكثرها في بلادنا! وما أكثر المتخرجين! يتخرَّج وهو ما كأنه درس فقهًا، فإذا تذاكرت معه المسألة تذكَّر أنه درسها، فهو حامل فقه ولكنه ليس بفقيه، وربما يكون عنده شيء من الفقه مما وعاه وحفظه وفهمه، لكنه ليس بفقيه، يحمل هذا إلى من هو أفقه منه، فهكذا، هذه الأرض أيضًا طيبة لمَ؟ لأنها اختزنت الخير وأدَّته إلى الغير فانتفعوا به.

أما الطائفة الثالثة: فهي القيعان، التي لا تُمسِك ماءً، ولا تُنبِت كلأً، كالسِّباخ مثلًا، الماء ما تمسِكه، المراد بمسك الماء يعني أنها لا تخزنه في باطنها، لا تشربهُ هي، فترتوي منه فتستفيد وتنتفع، هذا معنى المسك، وإلا نحن نراه، قد يقول قائل: كيف ما تمسك وهو فيها مقيَّل، نراه شهورًا ودهورًا ربما يبقى في السِّباخ؟، نقول المسك ليس هو هذا، المسك هو خزنه في الباطن،

فتنتفع به، أو تمسكه في باطنها مياهًا جوفيَّة نقيَّة فينتفع به الناس كما انتفعوا سابقًا من الأجادب التي قبلت الماء واختزنته، فيشربون منها ماءً عذبًا زلالًا، لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا، وَرَعَوْا»، فهذه هي الأرض الأجادب تُمسك الماء في داخلها، ثم إذا استخرجه الناس وشربوا منه، هم ودوابهم وأنعامهم، وأيضًا وسقوا به أرضهم، انتفعت هذه الأرض بعد ذلك، فهي بحاجة إلى من؟ إلى من يخرج النبات منها بأمر الله بالحرث، والاستصلاح، وإلا أصل الحياة موجودٌ فيها وهو هذا الماء، فهكذا الذي يكون عنده علمٌ، لكن لا يُحسِن استخدامه هو، فلا ينتفع به، فيأتيه من يعلِّمه هذا العلم، ويفقر له مسائله، ويُشقِّق له أكمامه، ويُخرج الثمرات من أكمامها، ينتفع حينئذٍ بعد ذلك.

الطائفة هذه السيئة: التي لم تمسِك الماء في داخلها، في جوفها، ولم تستفد منه في ظاهرها، فيزرعُ فيها النبات، هذه مثلها مثل السَّوء، نسأل الله العافية والسلامة، نسأل الله أن لا يجعل لنا ولا لكم مثل السَّوء، هذه لم تنتفع هي بنفسها لكونها سِباخ قيعان، ولم ينتفع الناس من الماء الذي فيها؛ لأنه يطلع ملح أُجاج ما يُشرب ولا تشربه البهائم، ولا يمكن أن يُزرع به أبدًا، فهذا الذي أعرض عن الهدى الذي بعث الله به نبيه ورسوله محمدٍ بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يرفع بذلك رأسًا، فلم يتزيَّن في نفسه، ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسل به نبي الله -صلى الله عليه وسلم- لم يلج الإيمان في قلبه، لم يستقِر هذا الوحي في قلبه، فيحيا قلبُه بعد ذلك، لم ينتفع، فحينئذٍ تراه متبعًا للأهواء، متَّبِعًا للآراء، زائغًا، ضالًّا -نسأل الله العافية والسلامة-، كما قال -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ترك سبيل الله -جل وعلا-

وهو الصراط المستقيم، واتبع شياطين الإنس والجن ممن يضلونه ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾الأنعام: ٢١١ - ٢١٣، هؤلاء يصغون إلى شياطين الإنس والجن، شياطين الإنس والجن يضلونهم، يزخرفون لهم القول، وزخرف القول هو الذي يسبي قلوب العقول الناقصة، أما العقول الكاملة التامة بأمر الله، المستنيرة بنور الوحي لايضرها ذلك بإذن الله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث حذيفة -رضي الله تعالى عنه- المخرج في صحيح مسلمٍ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » عياذًا بالله من ذلك.

هذه هي القلوب التي أشربت الأهواء تصبح مربدة يعني بها كدرة، كدرة الربد، الطين الذي ليس هو بالأصفر، ولا بالأحمر، ولا بالبني فيه ربدة، ليس بصافٍ، ويصبح مثل الكوز مجخيًا، منكوسًا، فمه إلى الأسفل، وجرمه من الأسفل إلى الأعلى كلما حقنت فيه شيئًا أعاده عليك، هذا هو الذي قال فيه، «وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» لأن قلبه أصبح مجخيًا منكوسًا -نسأل الله العافية والسلامة- قد رانت عليه البدع والأهواء، ومهما كلمته بالسنن والأدلة الفقهية لاينتفع، فليس هو كالماعون الحافظ الذي قد انتبر في قعوده، وفمه إلى الأعلى هذا يحفظ كلما

وضعت فيه قطرة حفظها، والعلم الذي هو حياة القلوب إنما هو نقطة، نقطة، قطرة، قطرة هكذا.

اليومَ شيءٍ وغدًا مثله ۞۞۞ مِنْ نُحِبَ العلْمِ التي تلْتقطْ

يَحْصُلُ المرءُ بها حِكْمَةً ۞۞۞ وإنَّمَا السَّيْلُ اجتماعُ النُّقطْ

نقطة عند نقطة عند نقطة يمتلئ الإناء، أن تعتبر هذا به، الإناء تضعه تحت الكباس، تحت البزبوز، السكروب الخربان الذي لا يشد، تجعله تحته حتى تحفظ الماء لا يذهب هدرًا، وإذا به بعد ساعة، أو ساعتين السطل مليء، الدلو مليء، نقطة عند نقطة تصبح بعد ذلك دلوًا، وهكذا الدلو دلوين، ولو صبرت أيامًا جئت والأرض كلها ملأى.

يَحْصُلُ المرءُ بها حِكْمَةً ۞۞۞ وإنَّمَا السَّيْلُ اجتماعُ النُّقطْ

تنزل قطرات من السماء تتتالى، وإذا بالبحيرات عندك على الأرض، فهكذا العلم من رامه جملة، حُرِمَه جُملة، ولكن يأخذه شيئًا فشيئًا، قليلًا قليلًا، فالقلوب الصالحة تتلقاه، والقلوب المنكوسة كالكوز المجخي المربادة، المسودة المغبرة التي لا تقبل كلام الله -جل وعلا- ولا كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا: «لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ» غلب عليه الهوى، أهواءٌ وبدع تغلف القلوب فتصبح مكدرة مغبرة؛ لأن السنة بيضاء، النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ».

فالبيضاء هذه التي يقبلها القلب الأبيض حتى تعود القلوب على قلبين أبيض هذا استنار بنور الوحي، فمشى على البيضاء، البيضاء هي الصراط المستقيم.

قال -جل وعلا- في هذا القرآن: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: ٣٢]،

قال الله -جل وعلا- في الرد عليهم: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان: ٣٢]،

أي: نزلناه لتثبيت فؤادك على حسب الوقائع والأحداث منجمًا مفرقًا، كلما حدث حادث ضاق منه صدرك يا عبد الله نزلنا عليك آيات تثبتك وتصبرك، وتشرح صدرك، وتقوي يقينك، فلهذا سلَّى الله -جل وعلا- نبيه محمدًا -صلى الله عليه وسلم- بإنزال هذا القرآن عليه مفرقًا منجمًا، فطالِب العلم يتسلى بأخذ العلم، اليوم شيء وغدًا مثله قليلًا قليلًا قليلًا حتى يصل إلى النهاية وإلى خط النهاية، ويصل إلى الخير العظيم الذي يستنير به قلبه، ويتفتح به عقله، ويبصر به الحق من الباطل.

فالواجب علينا جميعًا أن نكون من الأرض الطيبة التي قبلت الماء فتزينت في نفسها، وأنبتت العشب والكلأ الكثير، وأفادت غيرها، فالناس يرعون منها، والناس ينشرحون منها، ويستفيدون من النظر إليها، والجلوس عليها والتنزه فيها، هكذا أهل العلم يُتنزه في مجالسهم، وفي حِلقهم، وفي دروسهم، فالجلوس إلى وراث الكتاب والسنة، الجلوس إليهم خير، كما بيَّن ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-، حينما دخل ثلاثة رجال «أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَأَمَّا

أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»، هؤلاء هم الثلاثة نفر، الصحيح هم ثلاثة، أحدهم استحيا -دخل حياءً- فاستحيا الله منه فعمه بالخير مع هؤلاء الجالسين، وهم الذين لا يشقى بهم جليسهم، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الآخر عن الرجل الذي يأوي إلى الصالحين وليس منهم، قال -عليه الصلاة والسلام-: «هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»، فهذا استحيا فاستحيا الله منه، أوى إلى الحلقة، فلا يشقى بإذن الله -جل وعلا-، له الأجر ويحسب مثلهم، والآخر آوى فآواه الله، والثالث أعرض فأعرض الله عنه.

ولهذا - أحبتي في الله - يعني الخطر عظيم على من يخرج والمسجد فيه ذكر لله -جل وعلا-، الخطورة والله ما هو فقط فوات الأجر عليه، الخطورة ما هي والله فقط بذهاب الخير والفقه عليه، الخطورة عليه في هذا الباب أن يكون ممن أعرض فأعرض الله عنه، هذه هي الخطورة معشر الأحبة، فينبغي للإنسان أن يصبِّر نفسه ربع ساعة، عشر دقائق، نصف، بل ساعة، خير له من أن يدخل تحت هذا الأمر المخوف وهو أن يعرض الله -جل وعلا- عنه، فالعلم يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى مجالسة لأهله، وحياة طلبة العلم وحياة أهل العلم تختلف عن غيرهم، ومن أوى إليهم من العوام هذا أجره، إن كان حياءً استحيا الله منه، وأقبل عليه بجوده وفضله وكرمه، وإن كان أوى إليهم يريد أن يستفيد كما هم، آواه الله -جل وعلا-، ورزقه من الفضل

والخير الذي هم عليه من هذا الميراث، ميراث النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن المصيبة أن تكون الثالثة أن يعرض فيعرض الله -جل وعلا- عنه.

معشر الأحبة: الله -جل وعلا- كما سمعنا يقول في الآية التي تلونا ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ م: ٣٥١، وهذا هو الصراط المستقيم الذي نحن ندعو الله -جل وعلا- كما قلت في كل ركعة أن يهدينا إليه، هذا الصراط المستقيم هو الذي جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ذلك حينما خط خطًا مستقيمًا وقال: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»، وخط على جنبتيه خطوطًا قال: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» نسأل الله العافية والسلامة.

بل جاء في الحديث الآخر أن هذه السبل أيضًا عليها أبواب، وعليها ستور مرخاة، وعلى كل باب من هذه الأبواب داع يدعو إليه، من أجابهم إليها قذفوه في جهنم -والعياذ بالله-.

أما هذا الصراط المستقيم فهو الذي جاءنا به -عليه الصلاة والسلام- والصراط المستقيم الذي تصل فيه إلى ربك -جل وعلا- وإلى جنات عدن لا اعوجاج فيه، ولا التباس فيه، ولا كدر فيه، ولا تعب فيه، ولا نصب فيه، وإنما التعب، والنصب، والخطر، والخوف إنما هو في الأهواء المضلة التي شبهها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالخطوط التي على جنبتيه، وعلى كل طريق منها باب، وعلى كل باب ستر مرخاة، وعلى كل باب داعٍ يدعو إلى هذا الباب، من أجابه قذفه في النار.

هذه هي الأهواء، هذه هي السبل التي جاءت في حديث أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا

جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِّ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ» يعني من القوم إلا هم؛ لأن هؤلاء اليهود والنصارى هم أصحاب السبل الذين يعبدون الله على جهل فيتخبطون، فيكون الفساد أكثر من الإصلاح، أو الذين يَدَعون الحق وهم يعلمون، كما قال -جل وعلا-: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ ال بقرة: ٩٨، لماذا استحقوا اللعنة؟ لأنهم ضلوا بعد العلم؛ لأنهم كما قال الله -جل وعلا- عنهم مع هذا النبي -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ال بقرة: ١٤٦ - ١٤٧، هذا هو، فهؤلاء تركوا الحق وهم يعلمونه، جاءهم النبي -صلى الله عليه وسلم-، وشهدوا له بأنه هو هو، كما في الحديث الصحيح لكن لما قيل لهم: ما موقفكم؟ قالوا: عداوته ما حيينا، مع علمهم بأنه هو النبي المرسل -صلوات الله وسلامه عليه-، فهكذا من ترك طريق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وخالفها بعد العلم فيه شبه من اليهود، ومن ترك طريق النبي -صلى الله عليه وسلم- بسبب الجهل، ولم يتعلم ولم يسأل، فإن الله -جل وعلا- ما أوجب عليك السؤال إن جهلت إلا وقد أوجب البيان على أهل العلم إن أنت سألت، ما قال -جل وعلا-: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ ﴾ ال نحل: ٤٣ - ٤٤، فأمر الله -جل وعلا- الجاهلين بالسؤال، وأمر العلماء بالبيان -سبحانه وتعالى-، وعدم الكتمان وحذرهم من الكتمان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ال بقرة: ١٥٩ - ١٦٠..

فالبدع معشر الأحبة مضلة مردية مهلكة، كما أن الشرك مضل ومُرْدٍ ومهلك الهلاك الأكبر، فهكذا البدع بريد إليه، ونحن ولله الحمد وأرى أمامي ولله الحمد أكثر الحاضرين طلبة علم، هذا من فضل الله -جل وعلا- علينا وعليكم أيها الأحبة في هذه المنطقة، وأنتم أهل بلدي وأنا بكم أعرف، تعرفونني وأعرفكم، وإن لم تعرفوا شخصي تعرفون قومي، وأنا وإن لم أعرف أشخاصكم أعرف قومكم، فأنتم أهل بلدي وأنا ابن بلدكم، هذه البلاد مَنَّ الله -جل وعلا- عليها بفضل منه عظيم، فانتشر فيها العلم والتعليم والسنة قبل كثير من البلاد غيرها، هذا خير من الله عظيم، دعوة الشيخ المجاهد الداعية المجدد لدعوة التوحيد ولدين الإسلام الحقيقي في هذا القُطر من هذه المملكة العربية السعودية الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، تعرفونه جميعًا، من لم يعرفه برسمه يعرفه باسمه، آباؤكم عرفوه وأنتم سمعتم منهم، كيف كانت المنطقة قبل قدومه؟ كان الظلام عليها هو المخيم، والجهل هو العام، وإن وُجد شيء من العلم، نحن لا نقول قبله ما يوجد علم، في، لكن قليل من يقوم بالعلم، هذا الرجل ساقه الله -جل وعلا- وهيأه لنا، ساقه من بين سائر المناطق إلى هذه المنطقة، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾ [الحديد: ٢١].

فجاءنا -رحمه الله تعالى- بالدعوة الصافية؛ دعوة القرآن والسنة، لم يدع إلى شخصه، ولم يدع إلى حزب، ولم يدع إلى تنظيم، ولم يدع إلى جماعة، وإنما دعا إلى عبادة الله -جل وعلا- وحده لا شريك له، وإلى اتباع سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كلما جاء في بلدة وفتح الله عليه، ما

انفتح الله له بالخير على يدي هذا الرجل وتعلم، تركه في أهله يُعلم؛ لأنه ما يريد رئاسة، ولا يريد جاهًا، ولا يريد منصبًا، لا يريد ولايةً، ولا سيطرةً على الناس، إنما يريد هداية الناس.

فكان -رحمه الله تعالى- مجاهدًا طيلة ثلاثين عامًا تقريبًا، صابرًا، محتسبًا في ذلك وكانت القلوب طيبة، والناس فيهم خير، فقبلوا منه وأقبلوا عليه فانتفعوا انتفاعًا عظيمًا، فعمهم الخير فأصبحوا قبل غيرهم العلم فيهم منتشر، وذكرهم بين الناس منتشر، ومدح الناس لهم باتباعهم لكتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منتشر، وأصبح أهل هذه المنطقة منارات في جميع مدن المملكة، يعرفهم الناس ولله الحمد، لم يعرفوهم بالدنيا وإنما عرفوهم بالعلم والتعليم، منهم المدرسون، ومنهم القضاة، ومنهم رجال الهيئات، والحسبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرفعهم الله -جل وعلا- بهذه الدعوة المباركة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللهَّ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» فرفعنا الله -جل وعلا- بدعوة التوحيد والسنة، وكان أهل هذه المنطقة نجومًا في سماء هذه البلاد، وأنا مرت علي فترة مررت على طول ساحل البحر الأحمر من شماله إلى جنوبه فوجدت أكثر القضاة في فترة من الفترات هم من أبناء هذه المنطقة منطقة جازان، لماذا؟ لأنهم تعلموا مبكرًا، استفادوا من هذا الرجل -رحمة الله عليه- ، هذا الداعية، المجاهد، الصابر، المحتسب، أحيا الله به الأمة، وأنقذهم به من الجهالة بفضله ورحمته إلى نور العلم، وأخرجهم به -سبحانه وتعالى- من التفرق إلى المحبة والأخوة في دين الله -تبارك وتعالى-، فهذه نعمة من الله عظيمة، كان أبناء هذه المنطقة كلهم متآخون، يفدون على الشيخ في مدينة صامطة فيأخذون عنه وعن كبار طلبته أمثال الشيخ العلامة المجاهد المحقق

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله تعالى-، صاحب المؤلفات الذائعة الصيت، المنتشرة في كل أرجاء المعمورة ولله الحمد، وأكثرها في العقيدة والسنة -رحمة الله تبارك وتعالى عليه- فكانوا يفدون على الشيخ، وعلى الشيخ حافظ، وعلى كبار طلاب الشيخ يفدون أيضًا فيتعلمون منهم، وينتشرون معلِّمين ودعاةً إلى الحق كما هو حال شيخهم، وأشياخهم، فانتفعوا ونفعوا، ونفع الله -جل وعلا- بهم، وذُكرنا بفضل الله ورحمته، ثم بفضل هذه الدعوة، رفعنا الله معشر الأحبة ورفع لنا الذكر وأبقى لنا الذكر الحسن، بسبب قبولنا لدعوة التوحيد والسُّنة، فنحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام الصحيح، فمهما ابتغينا العزَّة بغيره أذلنا الله -جل وعلا-.

هذه الدعوة؛ دعوة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي المباركة، هي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى وأجزل له الأجر والثواب-، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي امتدادٌ لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وتلاميذه ابن القيم ومن كان معهم -رحمهم الله- دعوة إلى الكتاب والسُّنة، ودعوة للناس إلى أن يرجعوا إلى كتاب الله -جل وعلا- وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ويدعوا البدع والمُحدثات، ويحذروها، ويبتعدوا عنها، هذا هو الأصل، ودعوة شيخ الإسلام هي امتدادٌ لدعوة الإمام أحمد؛ إمام أهل السُّنة -رحمه الله- أحمد بن حنبل، كان صابرًا في هذا الباب، مضرب المثل، حتى صار إمام أهل السُّنة، يُقتدى به -رحمه الله تعالى-، فما قاله -رحمه الله- أصبح مقبولًا عند الناس:

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ❁❁❁ وبجب أحمد يعرف المتنسكُ

فإذا رأيت لأحمد متنقصا ❁❁❁ فاعلم بأن ستوره ستهتكُ

أحمد محبته من علامة السُّنة، لا يحبُّه إلا صاحب سنة، ولا يبغض الإمام أحمد إلا صاحب هوى، وأحمد -رحمه الله- دعوته التي صبر وصابر عليها، وضحَّى في سبيلها، ونابذ المُبتدِعة، ورمى كلَّ طائفةٍ منهم بسهم، هي دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ودعوة أصحابه، هي الدين الصحيح، الإسلام الحنيف، كما قال -جل وعلا- مبيِّنًا ذلك في كتابه: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ النحل: ١٢٣، ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ﴾ آل عمران: ٨٦، يعني معه ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ آل عمران: ٨٦.

فالواجب علينا معشر الإخوة أن نحمد نعمة الله علينا، نعمة الدعوة إلى الكتاب والسُّنة، إلى التوحيد، إلى العقيدة الصحيحة، إلى اتباع السُّنن، إلى مجانبة البدع والحذر منها، هذا الذي نفعنا الله -جل وعلا- به، ورفع به الذكر لأسلافنا، وآبائنا، وأجدادنا، فيجب أن نكون محافظين عليه، فلنقُم بذلك، ولنحذر البدع على اختلاف أنواعها، ولنحذر الدعاة إليها.

وأسأل الله -جل وعلا- بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى أن يمُنَّ علينا وعليكم بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأن يرزقنا وإياكم الفقه في الدين، والبصيرة فيه، وأن لا يضلَّنا بعد إذ هدانا، وأن يعصمنا وإياكم جميعًا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يتمَّ علينا في بلادنا هذه نعمة الأمن والإيمان، إنه جوادٌ كريم.

وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

الأسئلة:

السؤال:

هذا سائل يقول: ما وصيتكم -وفقكم الله- لمن عقد العزم على الحج هذا العام؟

الجواب:

الذي نوصيه به **أولًا:** أن يقوم بأداء الحقوق التي في ذمته، إن كان أهلها يطالبون بها، فلا يحج إلا بعد أن يؤدي هذا، وإما إن كان موسرًا واسع الحال، فعليه أن يؤدي الحقوق وإن لم يطلبها أصحابها حتى تبرأ ذمته؛ لأنه لا يدري أيعود أم لا؟، الأمر بيد الله -جل وعلا- .

ثم عليه أن يختار النفقة الحلال الطيبة.

ثالثًا: عليه أن يختار الرفقة الصالحة الطيبة التي تعينه إذا ذكر، وتذكِّره إذا نسي، لا تصحب إلا من تدلك على الله كلمته، أو تذكِّرك بالله رؤيته، فإن هؤلاء أعون لك على الحق وعلى الطاعة، فعليك أن تستعين بعد الله -جل وعلا- بمصاحبة هؤلاء، اختر الرفقة الصالحة.

رابعًا: عليك أن تتعلَّم أحكام المناسك، فتحرص على أن تطبِّق هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- لأنه قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» وإذا جهلت فاسأل، ليس عيبًا، لا تقع في الغلط وأنت تستطيع السؤال، اسأل، فالله -سبحانه وتعالى- قد أمرك بذلك في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣]، اسأل أهل الذكر فيبينوا لك فتنتفع حينئذٍ.

والأمر الخامس: عليك أن تتجنَّب الجدال الذي لا فائدة فيه في الحج، وتتجنب الخصومات، وتحذر أيضًا ما يُفسِد الحج، أو ينقِّص أجره، فعليك بهذا كله، وإن كنت طالب علمٍ، فعليك أن تصطحب معك منسكًا من المناسك الموثوقة للعلماء المُحقِّقين، ومن أجمل ما نوصي به في هذا:

«التحقيق والإيضاح»، كتاب «التحقيق والإيضاح لمسائل الحج والعمرة»، لسماحة الشيخ ووالدنا وأستاذنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز – رحمه الله تعالى –، فاحرص على أن يكون معك هذا المنسك فإنك تنتفعُ به بإذن الله –جلَّ وعلا–، وعليك أن تحرص على تطبيق السُّنن، وتبتعد عن المُحدثات والبِدع، هذا الذي أوصيك به، وما بقي أو ما نسيت أنا، أو نسيته أنت فاسأل عنه.

السؤال:

هذا سائل يقول: كيف يجمع طالب العلم بين مراجعة الدروس النظامية، ومراجعة المحفوظ من المتون؟

الجواب:

بشيء واحد، بإحسان تقسيم الوقت، إذا أحسن تقسيم الوقت استطاع ذلك بإذن الله، كيف أنت تختبر في يوم واحد مادتين أو ثلاثة، قبلها كيف تستعد؟، بتقسيم الوقت، اليوم لهذه المادة، وغدًا لهذه المادة، وبعد غد لهذه المادة، وهكذا، فإذا أحسنت الوقت، أحسنت النتيجة والثمرة.

ونزيدك أمرًا آخر أيها الأخ السائل الكريم، وهو مهم، وهو شقيق الأول، ألا وهو طرد الكسل، فإن العبد إذا استسلم للكسل لم يعمل عملًا واحدًا.

فأنت عليك أولًا: بإحسان التقسيم للوقت.

والثاني: أن تطرد الكسل، وهما حقيقةً شقَّان في أمرٍ واحد، فإذا فعلت ذلك جمعت بين المدرسة وبين المتون.

وأذكر لكم شبيهًا لهذا: قبل الوظائف اليوم، زمان، كيف كانوا يتعلمون؟، يتعلمون ويعملون، جزء للتعلُّم، وجزء للتكسُّب، وأنت الآن -ولله الحمد- مكفول، تستطيع أن تتعلَّم وأن تحفظ المتون بإذن الله -جلَّ وعلا- .

السؤال:

وهذا سائل يسأل عن حكم الزكاة على الأخت إن كانت فقيرة، يعني أداء زكاة ماله أو زكاته إلى أخته؟

الجواب:

لا بأس، يجوز أن يعطي المرء زكاة ماله لأخيه الفقير، لأخيه من أمه وأبيه، ومن أبيه، ومن أمه، المراد أخوه نسبًا، يجوز أن يعطيها لأخيه، إنما يحرُم، أو تحرم زكاتك على فروعك وأصولك، الأصول وإن علوا، والفروع وإن نزلوا، الأب والجد والأم، وهكذا، هؤلاء أصول، وأم الأم، انقطع ما عليه أحد تُعطي هذه المرأة مما يجب عليك، أم الأب التي هي الجدة، أبو الأب الذي هو الجد، هؤلاء يحرُم أن تعطيهم الزكاة، النفقة عليك أنت، أما الفروع فهم الابن، وابن الابن، بنت الابن إذا انقطعت، والبنت، هكذا، هؤلاء عليك أنت نفقتهم، فإذا أعطيتهم الزكاة تريد أن تستبقي بها مالك بدل النفقة، فلا يجوز، أما الحواشي كالإخوان، والأخوات، والأعمام،

والعمات، والأخوال، والخالات، وأولاد الإخوان، وأولاد الأخوات، أولاد الأعمام، أولاد العمات، أولاد الأخوال، أولاد الخالات، وهكذا، فإن ذلك جائزٌ ولله الحمد.

السؤال:

هذا يقول: هناك من يشوِّش على الناس في حكم العمل بالرؤية في تحري الأهلة، نود منكم التوجيه؟

الجواب:

كيف يشوِّش عليهم، لا تشويش؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال لنا: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ» فأمرنا بالرؤية، ثم قال: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ»، وفي اللفظ الآخر: «فَإِنْ غُبِيَ»، يعني غاب عنا ما رأيناه، «عَلَيْكُمْ»، فإن حال دونه غمامٌ أو قتر، يقول -صلى الله عليه وسلم-: «فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلاثِينَ» لأن شهورنا نحن المسلمين، إما ثلاثين، أو تسعة وعشرين، هذه الأشهر العربية، كما قال -عليه الصلاة والسلام-:«إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ؛ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا»، هذه كم؟ ثلاثين، «والشهر هكذا وهكذا وهكذا»، كم صارت؟ تسع وعشرين؛ لأن في الثالثة خنس إبهام يده اليسرى، كفه اليُسرى، صار تسع وعشرين، ما في عندنا واحد وثلاثين، وما في عندنا ثمانية وعشرين، كما هو عند اليهود والنصارى تقويمهم، ما في إلا تسع وعشرين أو ثلاثين، وكلاهما شهر، فنحن إذا لم نره يوم تسع وعشرين ليلة الثلاثين، أكملنا الثلاثين؛ لأن الشهر يكون أيضًا هكذا، أما إذا رأيناه ليلة الثلاثين صار تسعة وعشرين

فصار الشهر إيش؟ هكذا، فإذًا الأمر هنا بالرؤية، فإذا لم نره، انتقلنا إلى الأمر الآخر الذي أمرنا به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو إكمال العدة ثلاثين، هذا هو القاعدة.

ثبوته برؤية الهلالِ ۞۞۞ وحيث إغماء فبالإكمالِ

عدة شعبان ثلاثين وفي ۞۞۞ خروجه الأمر كذاك فاعرفِ

يعني كما أنه في دخوله، إذا لم نره، ليلة الثلاثين، أكملنا شعبان ثلاثين، هكذا في خروجه إذا لم نرَ هلال شوال ليلة الثلاثين يعني يوم تسع وعشرين رمضان لم نره، فنكمل عدة رمضان ثلاثين يوما.

الدخول خُصَّ بقبول شهادة الواحد، كما في حديث أنس، وكما في حديث ابن عُمر، وكما في حديث الأعرابي: «تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِّ- صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ» حديث ابن عمر، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ أَنْ يَصُومُوا غَدًا» فأمره أن يؤذن برؤية واحد، فخصَّ هذا الدليل الدليل الأول، وهو قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا»، فدخل حينئذٍ الصيام بشهادة واحد، فاستثنينا الدخول، وبقي الخروج في رمضان، فنحن حينما نعمل بالرؤية لا تشويش -ولله الحمد-، إذا لم نره أُمرنا على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بماذا؟ بالإكمال، فلو أكملنا الحمد لله، ما أخطأنا، ولو أخطأنا فإننا معفوٌ عنا؛ لأننا أخذنا بالنص، ما رأيناه فأكملنا، لا ضير في هذا ولله الحمد، ما هو التشويش في ذلك؟، ما في شيء، ولكن الذي لا يقنعه القرآن والسنة لا حيلة فيه، نحن ندعو الله أن يهديه.

وهكذا الحج كذلك، النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضَحِّي النَّاسُ»، بل أجمعوا؛ أجمع أهل العلم على أننا إن تحرينا فلم نرَ وأكملنا شهر ذي القعدة أكملناه، ثم وقف الناس بعد ذلك بعرفة، ولو تبين بعد ذلك أنهم أخطأوا، الحج صحيح، هذا بالإجماع، مذكور -ولله الحمد- هذه كتب الفقه بين أيدينا؛ لأننا إنما كلِّفنا بهذا، وعملنا بما كلِّفنا، واتقينا الله ما استطعنا، قال الله -جل وعلا-: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: ١٦]، فنحن اتقينا الله ما استطعنا، وسمعنا لكلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأطعنا، فإذا أخطأنا فالخطأ مغفور وعملنا صحيح، هذا من فضل الله -جل وعلا- علينا.

السؤال:

هذا يقول: هل يجوز الحكم بالديموقراطية؟

الجواب:

لا، لا يجوز، هذا من عظائم الذنوب، إن الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، يقول -جل وعلا-: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، سبحانه وتعالى، فالخلق خلقهُ، والأمرُ أمره، والشرع شرعه، والدين ما شرعَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لنا عن ربه -تبارك وتعالى- والديموقراطية معناها حكم الشعب بالشعب، الذي يبغاه الشعب يصوِّت عليه ويرتضيه، خلاص يمشي، ولو كان

باطلًا، ولو كان حرامًا، لو كان زورًا، لو كان فجورًا، هذا غير صحيح، ليس عندنا هذا، وإنما عندنا قول الله -جل وعلا-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، فالواجب علينا أن نفرح بهذا الذي منَّ الله به علينا، فإن هذا هو الفرح الحقيقي، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨]، أما الديمقراطية هي وسائل الغرب الكفار، وطريقة الغرب الكافر.

السؤال:

يقول هذا: هل يكفر الحاكم إذا حكم بغير ما أنزل الله؟

الجواب:

إذا كان يرى أنه أفضل وأنه أقدم مما في كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو أنه مساوٍ لما في كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو أنه يجوز الحكم بغير ما أنزل الله فهذا كافر، أما إذا حكم وهو لا يعتقد فهذا لا يكفر في أصح قولي أهل العلم، والمسألة طويلة الذيول، وهذا مختصرها.

السؤال:

هذا يقول: ما هو الطريق الموصل للثبات على السُّنة؟

الجواب:

الطريق الموصل للثبات على السنة

أولًا: دعاؤك لله -جل وعلا- بأن يشرح صدرك للسُّنة وأن يعلِّمكها.

وثانيًا: بصحبة أهلها، فإنك تزداد معرفةً بها.

وثالثًا: سؤالك ربك أن يثبِّتك عليها بعد أن تعرفها.

صحبة أهل الخير خير، صحبة أهل الضلال ضلال، صحبة أهل الإيمان إيمان، صحبة أهل الشر والباطل شرٌ وباطل، لو ضربت لكم مثلًا: إنسان يصحب صاحب المخدرات يطلع فقيهًا مفتيًا؟!، هل هذا يتصور في العقل؟! ما يطلع إلا صاحب مخدرات، فهكذا من صحِب أهل الخير أخذ منهم، ومن صحِب أهل الشر أخذ منهم، واقتدى بهم:

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ۞۞۞ إن التشبه بالكرام فلاحُ

فالشاهد: صحبة أهل السُّنة، تورث المرء حب السُّنة بعد معرفته للسُّنة، فنسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يثبتنا وإياكم جميعًا.

السؤال:

هذا يسأل: عن خروج الدواعش، من أين الدواعش؟

الجواب:

الدواعش أصولهم أصول منحرفة، منهجهم منهج الخوارج -ولله الحمد- أظن أنا وأبنائي جميعًا، وإخواني الكرام في هذا المجلس، وغيرنا، ما عاد نحتاج إلى الإتعاب في أن نعرف من هم، ورأينا ثمارهم السيئة، تتصورون أحدًا يقتل أمه؟!

بالله أسألكم، بالذي رفع سبعًا، ودحا مثلها، وقدَّر فيها أقواتها وأرزاقها، هل كنتم تتصورون هذا؟!،

أسألكم بالله أحد يقتل أمه لأنها كافرة؟! هذا الذي وصلنا إليه، هذه ثمرة داعش، بئست الثمرة، هذه شجرة الزقوم -نعوذ بالله منها- يقتل أمَّه! ويحاول إلحاق والده بها، وأخوه بهما، أيُّ دعوةٍ هذه؟! وأيُّ إسلام هذا؟!

يفجِّر بجوار مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- بأواخر ليلتين من رمضان، يزعم أنهم يبغون يقيمون دولة إسلامية، هذا إسلام؟!، إسلام يأتي بهذا الفعل المنكر العظيم؟!،

حاشا وكلا، في العام الماضي يقتل خاله، خاله أخو أمه مترب في حجره، محسِن إليه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «الْخَالَ وَالِدٌ»، يقول: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»، يقتل خاله ليلة العيد، أو قبلها بليلة، تقرَّب إلى الله بذلك لأنه كافر، هذا إسلام؟!

شيء عجيب، -نسأل الله العافية والسلامة- ما أظن أننا بحاجة إلى أن نتكلم في هذا كثيرًا، وقديمًا قيل: واقع الحال يغني عن كثيرٍ من المقال، شاهد الحال يُغني عن المقال، هأنتم ترون هؤلاء -نعوذ بالله من ذلك- زاغت قلوبهم، فلما زاغت أزاغها الله -جل وعلا- وأبعدها عن الهدى، قال -جل وعلا-: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ [الصف: ٥]، جزاءً وفاقًا، هؤلاء جاءوا إلى بابٍ لا يُحسونه، وضلوا فيه وهو باب التكفير، الخوارج الأولون – حفظكم الله – لما خرجوا كفَّروا أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، كفَّروا الصحابة، الذين نشروا هذا الدين، وقاتلوا لإعلاء كلمة الله وإظهار هذا الدين، أول ما بدءوا به، كفَّروهم، قتلة عثمان يقولون لما قتلوا عثمان -رضي الله عنه- واحتزوا رأسه، قطعوه قطعًا، دهدهُ أحدهم بالسيف بذؤابة السيف، رأس السيف، أصبح يُدهده رأس عثمان -رضي الله عنه- في داره، ويقول: ما رأيتُ من وجه كافر أحسن من هذا، ولا وجه كافر مرَّ عليَّ أحسن من هذا الوجه، هذا عثمان -رضي الله عنه- الذي استحيت منه ملائكة الرحمن -جل وعلا-، وزوَّجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بابنتيه، وقال: لو كان عندي ثالثة لزوَّجتُكَها، وقال فيه: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ يُوَسّعُ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَلَهُ الْجَنّةُ» فاشتراها وسبَّلها للمسلمين، قال -صلى الله عليه وسلم-: «من يُجهز جَيش الْعسرَة وَله الْجنَّة»، فجهزه عثمان بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وما عليها من الأرزاق، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَومِ» ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد

مناف، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن بني هاشم بن عبد مناف، وعبد شمس وهاشم أخوان:

أرى أخوينا من أبينا وأمنا -يقول أبو طالب-:

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ۞۞ إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر
بلا لهما أمر ولكن تجرجما ۞۞ كما جرجمت من رأس ذي علق الصخر
أخص خصوصًا عبر شمسٍ ونوفلا ۞۞ هما نبزانا مثل ما ينبز الجمر

فعبد شمس هو جد عثمان -رضي الله تعالى عنه- عبد شمس بن عبد مناف، وهاشم جد النبي -صلى الله عليه وسلم-:

إذا اجتمعت يوما قريشٌ لمفخرٍ ۞۞۞ فعبدُ منافٍ سرّها وصميمُها
وإن حصلت أشرافُ عبد منافِها ۞۞۞ ففي هاشم أشرافُها وقديمُها
تداعت قريشٌ غثّها وسمينها ۞۞۞ علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

إلى آخره ..

جَزَى اللهُ عنّا عَبْدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ۞۞۞ عُقوبَةَ شَرٍّ عاجِلًا غَيْرَ آجِلِ
بِميزانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعيرَةً ۞۞۞ لَهُ شاهِدٌ مِن نَفْسِهِ غَيْرُ عائِلِ

فالشاهد: عثمان من عبد شمس ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لكن بعيد قليلًا، كما نقول نحن: ابن عم عمامه، ابن عم قفى، أما علي بن أبي طالبٍ فهو ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شقيق؛ لأنه ابن عبد مناف، أبو طالب اسمه عبد مناف، الناس ما يعرفون إلا أبا طالب، غلبت الكُنية، هو عبد مناف بن عبد المطلب، عبد المطلب هو شيبة الحمد اسمه،

وعبد المطلب لقب له، أبو طالب هو عبد مناف بن شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف، فهذا هو.

فالشاهد: هذا عثمان يُكفِّرهُ هؤلاء، علي بن أبي طالب ابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم- لصيق، قال له الخوارج: لا نقبلك حتى تشهد على نفسك أنك أولًا كفرت، ثم بعد ذلك تُسلم وتراجع إسلامك، ثم ننظر في أمرك، قال: **"قد أبطلتُ جهادي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إن أنا أطعتكم إلى ذلك"**، استعان بالله على قتالهم، فقال: **"والله ما كذبت ولا كذب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"**، فقاتلهم يوم النهروان، وأمر الصحابة أن يبحثوا عن ذي الثُّدَيَّة، فبحثوا وما وجدوا، قال: **"والله ما كذبتُ ولا كذبني رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ابحثوا"**، فبحثوه فوجدوه أسفل القوم قد تراكمت جثثهم عليه، فأخرجوه، ورفعوه إلى علي -رضي الله عنه- فكبَّر فرحًا بهذا، وسرورًا به؛ لأنه علامة وآية مصداق النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وجاءهم ابن عباس، قال لهم: **"جئتكم من عند أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وما أرى فيكم واحدًا منهم"**، لو كان عندكم علم، كان فيكم واحد أقل شيء من الصحابة، لكن أن يكون الصحابة كلهم في جانب، وأنتم على خلافهم، هذا يدل على شر، على أنكم على جهل، فهكذا هل ترون في هؤلاء الدواعش عالمًا، فيهم عالِم؟!،

كلهم شذَّاذ الآفاق جهلة، بقايا هذه الدعوات المنحرفة، فهم خرجوا من تنظيم جبهة النُّصرة، وجبهة النُّصرة جزء من تنظيم القاعدة، وما هو أنا أقول لكم، أنتم رأيتم في التلفاز، في الإذاعة على ما يقال على الأنظار كل الناس تنظر، أعلنوا البيعة في حينه لخليفة أسامة بن لادن، الذي هو

الظواهري، فلما أعلنوا البيعة له انشقَّ هؤلاء عنهم، وهذا موجود، افتحوا الآن -ولله الحمد- هذا أبو لحسة أنا أسميه، أبو لحسة، افحص هذا أبو لحسة، يأتيك اليوتيوب كل هذه الأخبار، موجودة وموثقة بالصوت والصورة، كانوا قديمًا يتشكَّك بعض الناس، الآن لا، أنا أدعك لهذا الجهاز، أنت ترتضيه، أنا أرتضيه، خلاص، هذا هو مشاهد، بل أصبحوا يكشفون هم أنفسهم، وأعانوا الناس على ذلك، الذي فجَّر في المسجد النبوي، الليلة الثانية على طول أصحابه أخرجوا التسجيل الذي يسجِّل فيه أنهم مستعدون لهذا، ورآه الناس جميعًا بصوته وصورته، هكذا الذين قتلوا أمهما، اليوم الثاني على طوال أخرجوا التسجيل لأصحابهم ولأوليائهم يُبررون لهم هذا القتل، ويستدلون له بقوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ﴾ المجادلة: ٢٢، هذا في الكفار المشركين الأصليين، أمك صائمة مصلية عندك، كيف كفروا؟!، كيف كفروا؟!، لكن:

يُقضى على المرءِ في أيامِ محنته ۞۞۞ حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسنِ

لعلي اكتفي بهذا، وأستسمحكم إن كنتُ أطلت عليكم، وأسأل الله -جل وعلا- أن يثبتنا وإياكم جميعًا على دينه، وأن يحفظنا وإياكم جميعًا في أنفسنا، وأموالنا، وأهلينا وأزواجنا، وذرياتنا، ويمنَّ علينا باستباب الأمن في أوطاننا، وأن يحفظ علينا إسلامنا، وولاة أمرنا، إنه جوادٌ كريم، وأن يعصمنا وإياكم جميعًا من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، إنه جوادٌ كريم، واسمحوا لي إن كنت أخرت قليلا الإقامة عليكم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

miraath.net

وجزاكم الله خيرا.